البريد العسكري في العصر العباسى

د . خالد جاسم الجنابي

كلية التربية ـ جامعة بغداد

البريد : نظام لنقل الأخبار ، وهو « أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب ، فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة »[١] .

والبريد في الأصل الدابة المرتبة في الرباط ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة[٢] .

والبريد في معناه اللغوي والاصطلاحي عربي الأصل والمنشأ ، وقد وردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية لتعني أرسال الشيء أو السير ، بل ان بعض الباحثين ذهب إلى ان أقدم تنظيم بريدي عند الأمم ظهر في وادي الرافدين ، وقد عرفه واستخدمه العراقيون القدماء من سومرين وأكديين وبابليين وآشوريين قبل أن يعرفه الفرس أو اليونان[٣] .

وقد عرف العرب البريد قبل الاسلام ، وإلا أنهم لم يستخدموه كنظام أو مؤسسة ، لها محطات أو دواب أو سعاة ، وإنما كانت هناك بعض المصطلحات كراكب البريد[٤] . والفيوج[٥] أي السعاة على الأقدام .

وبظهور الاسلام واستجابة كاجات الدولة العربية الاسلامية في تنظيم شؤونها ، اقتضت الضرورة وجود الرسل الذين يتولون إيصال الرسائل والأوامر من القيادة المركزية والمتمثلة بالرسول (ص) إلى باقي أنحاء الجزيرة العربية ، ثم ظهرت الحاجة ماسة إلى وجود الرسل والسعاة في عهد الخلفاء الراشدين بعد أن توسعت رقعة الدولة العربية ، وبدأت عمليات تحرير الأرض العربية وهذا يقضي أن يكون الخليفة على علم تام بكل دقائق الأمور في الأمصار أو ساحات المعارك ، لذلك ظهرت أول إشارة إلي استخدام البريد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في حدود سنة ١٣ هـ ، فقد ورد في تاريخ الطبري ، « ان البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر ، وبعزل خالد بن الوليد ، وتأمير أبي عبيدة وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم »[٦] .

ثم تزايد الإعتماد على البريد في نقل الأخبار خلال معارك التحرير والفتح في العراق والشام ومصر ، حتى دعت الحاجة إلى إنشاء دور للبريد ، فقد أورد الكتاني « أن دار البريد موضع بالكوفة كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء والخلفاء .... وكانت الدار في طرف البلدة »[٧] .

ويبدو أن الضرورات العسكرية هي السبب الرئيسي في تطور

---

(١) ابن طباطبا ، محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية، بيروت ١٩٦٠, ١٠٦.
(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، المجلد الأول ص ٢٧٧. الكتاني ، عبدالحي ، التراتيب الادارية جـ ١/ ١٩٢.
(٣) خولة عيسى ، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية حتى عام ٣٣٤ هـ اطروحة للماجستير على الآلة الكاتبة ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٢٧.
(٤) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، نشر بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار المعارف ، ٢٦١.
(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢/ ٣٥٠.
(٦) الطبري ، تاريخ ، ٣/٤٣٥ ، وقد ورد في ص ٣٩٨ « اذ قدم البريد من المدينة ، فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم الا بسلامة واخبرهم عن إمداد » .
(٧) الكتاني ، التراتيب الادارية ، ١/١٩٢.

البريد إلى هذه الدرجة ، وبالرغم من عدم الإشارة إلى وجود ديوان أو مؤسسة خاصة للبريد في عهد الخلفاء الراشدين ، إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل ، وختمها بالطين[٨] ، يشير إشارة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل أمصار الدولة العربية الاسلامية لغرض تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة وأكيدة .

وبعد مجيء الأمويين إلى الحكم سنة ٤١ هـ وازدياد رقعة الدولة العربية الاسلامية ، دعت الضرورة الأمنية وجود مؤسسة تتولى الاشراف على نقل الرسائل والكتب والأوامر من عاصمة الخلافة « دمشق » إلى بقية أقاليم الدولة وبالعكس ، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ ديوانا للبريد[٩] .

وقد تطور البريد تطورا كبيرا خلال العهد الأموي وعلى الأخص بعد استقرار الحكم في خلافة عبدالملك بن مروان ، حيث ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة في التنظيم من تحقيق الانتصار على جيوش الاعداء ، والقضاء على الحركات المناوئة للدولة .

وبعد انتقال الحكم إلى العباسيين إزدادت أهمية البريد من الناحية العسكرية ، لأن حاجة الجيش الدائمة إلى معرفة الأخبار عن العدو ، وعدد جيشه وتسليحه والطرق التي يسلكها ، والخطط التي يصنعها دعت العباسيين إلى العناية بأمور البريد ، فنظموا البريد العسكري تنظيماً دقيقاً وبلغ في هذا العصر درجة عظيمة من الرقي ، فاصبح للبريد ديوان مستقل في بغداد يتولى الأشراف على جميع طرق البريد ومحطاته ، مما تحتم وجود جدول بأسماء هذه الطرق ومحطاتها ومنازلها ومسافاتها[١٠] ، وتطورت مهمات ديوان البريد في العصر العباسي حتى صار من أخطر مؤسسات الدولة ، بحيث أن هذه المؤسسة الخطيرة ، لم تكتف بنقل الرسائل والأوامر ، ومراسلات الدولة ، بل تعدته إلى قيامها بالاستخبار على كل مرافق الدولة وعمالها ، والقيام ببعض المهمات العسكرية ،فتشير الروايات إلى أن الخليفة السفاح استخدم البريد في نقل جزء من قواته بواسطة دواب البريد[١١] . وهذا بدوره أدى إلى إزدياد أهمية البريد من الناحية العسكرية .

ولما تولى المنصور الخلافة وجه عنايته إلى البريد ، فخصص له المبالغ الطائلة لتهيئة وسائل النقل السريعة كالخيول والجمال السريعة والبغال النشيطة ، كما أمر باصلاح الطرق وبناء الجسور والقناطر وإنشاء السكك (المحطات) فقد ذكر الاصبهاني ان المنصور كان يقول : « لا أبيت على تضييع الطريق فهو قوام الملك »[١٢] . وكانت سكك البريد تحظى بإهتمام الخلفاء بشكل ملحوظ وتخضع لرقابتهم ، وذلك لما يترتب على إضطراب الأمور فيهامن تعثر ملموس في سير أعمال البريد وسرعة توصيله للأخبار التي يعتمد عليها ، وهذا هو الذي دعا العباسيين إلى التعرف على احوال الطرق وسد احتياجاتها من الخدمات[١٣] . ونتيجة لهذه المجهود أصبح الخليفة على علم تام بكل ما يجري في أمصار الدولة ، لأن ولاة البريد كانوا يكتبون إليه يومياً بكل ما يجري في بلدانهم ، وللدلالة على انتظام البريد في عهد المنصور ، ان عماله كانوا يوافونه بالأخبار كل يوم بما حدث في النهار أو الليل[١٤] .

صاحب البريد :

لما كان ديوان البريد من أخطر مؤسسات الدولة فان (صاحب البريد) يعد من أكثر رجال الدولة أهمية ، لأنه هو الذي يتولى الاشراف على ايصال أوامر الخليفة الى العمال والولاة وتلقي ما يرد

---

(٨) اشار الطبري في تاريخه الى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) « أول من أرخ الكتب وختم بالطين » ٢٠٩/٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ ٣٣٥/٥ ، ابن طباطبا ، الفخري ، ١٠٦ ، ابن قيم الجوزيه ، محمد بن بكر ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٦ .

(١٠) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ت محمد حسين الزبيدي بغداد / ١٩٨١ ، ٧٧ ـ ٧٨ . خولة عيسى ، نشأة البريد ٥٣ .

(١١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ، ٤٣/١٠ .

(١٢) الراغب الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٦٩/١ .

(١٣) خولة عيسى ، نشأة البريد ، ٧٦ .

(١٤) الطبري ، تاريخ ، ٩٦/٨ .

منهم من تقارير أو أخبار وعرضها على الخليفة(١٥) . ويمكن تشبيهه بالعين التي يرى بها الخليفة كل ما يجري في انحاء الدولة ، ويتحسس بواسطته على المناوئين لها(١٦) . وبالنظر الى المنزلة الكبيرة التي يتمتع بها صاحب البريد فان منصبه يعد من أكبر المناصب حساسية ، فهو صاحب الأخبار الرسمي والمشرف على جميع الطرق والمسالك المهمة ، وله عيون يوافونه بكل جديد لذلك فان الخلفاء العباسيين لا يختارون لهذه المهمة الا من كان ثقة عدلاً(١٧) . وقد أوجز أبو يوسف الشروط الواجب توفرها في صاحب البريد بقوله « وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار .... وتتقدم اليهم في أن لا يستروا عنك خبراً عن رعيتك ولا عن ولاتك ، ولا يزيد فيها يكتبون به عليك خبراً(١٨) » ويشدد قدامة بن جعفر على أصحاب البريد في أن يحتاطوا في أخبارهم « وأن لا يرووا عن شيء لا يعلمونه ، ولا يحابوا أحداً بستره ، وأن يكتموا أخبارهم ولا يذيعوها ولا يخلدوا الى كشفها وإفشائها ، فان في ذلك اذا جري وَهْناً ولمن اراد الحيلة مُتَطَرَّفاً(١٩) » .

ومما يدلل على أهمية مكانة صاحب البريد هو ارتباطه المباشر بالخليفة ، حيث لم يكن بينهما أية واسطة ، وذلك لكي لا يسمح لأحد بالاطلاع على الأخبار قبل انهائها الى الخليفة الذي يقرر فيها بعد اشاعة الخبر او كتمانه حسبما تقتضيه مصلحة الدولة(٢٠) .

ولضمان السرية التامة في نقل الأخبار الى الخليفة كانت هناك علامة أو اشارة متفق عليها بين الخليفة وصاحب بريده فضلاً عن الكتاب او الختم ، فالخليفة لا يعترف بمضمون كتاب صاحب البريد ولا ختمه الا اذا تضمن تلك العلامة ، اذ من المحتمل ان يكون صاحب البريد قد بعث الكتاب تحت ظروف التهديد(٢١) .

ولا يقتصر عمل صاحب البريد على نقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولاة بل تعدى الى المراقبة والاستخبار عن كل ما يجري من أمور ، سواء سلوك العمال او الولاة أو القادة أو الموظفين الاداريين وعن أحوال جميع الناس(٢٢) . ومن ذلك يظهر ان صاحب البريد هو أول رجل استخبارات عرفته الدولة العربية الاسلامية ، وان هذه المهمة الخطيرة التي يضطلع بها جعلته يتمتع بمكانة عالية بين كبار القادة العسكريين ورجال الحرب ، بل أن القادة العسكريين انفسهم كانوا تحت رقابة أصحاب البريد والأخبار وأن معارك عمورية التي قادها الخليفة المعتصم أظهرت مدى ما يتمتع به صاحب البريد من دور خطير في كشف المؤامرة التي كانت تحاك من قبل القادة العسكريين وتستهدف قتل الخليفة المعتصم ومبايعة العباس بن المأمون بالخلافة(٢٣) .

أما واجبات صاحب البريد الأساسية فهي(٢٤) :

١ ـ الالمام التام بمعرفة الطرق والمنافذ وصيانتها .

٢ ـ معرفة طرق الاعداء ومناطق تقربهم وتسللهم .

٣ ـ معرفة حيل الجواسيس في الدخول والخروج والتخفي .

٤ ـ دراسة كتب أصحاب البريد في الثغور والولايات وعرضها على الخليفة .

٥ ـ الاشراف على السعاة والموظفين في محطات البريد وصرف ارزاقهم وأرزاق دوابهم .

٦ ـ تعيين أصحاب الخرائط في سائر الأمصار .

---

(١٥) قدامة بن جعفر ـ الخراج ، ٧٧ .
(١٦) سيدة كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ١٨١ .
(١٧) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ٧٧ .
(١٨) ابو يوسف ، الخراج ١٨٦ .
(١٩) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ٥١ .
(٢٠) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٥ . خولة عيسى ، نشأة البريد ، ٦٠ .
(٢١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٩ ـ ٩٠ .
(٢٢) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ٣٦١ .
(٢٣) الطبري ، تاريخ ، ٩/٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ .
(٢٤) ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

ونحن عندما نتطرق الى البريد العسكري لا نتناول الواجبات الأساسية لديوان البريد ، التي تتضمن نقل أوامر الخليفة الى ولاة الأمصار ، وتلقي كل ما يدور في هذه الأمصار من أمور تستدعي اطلاع الخليفة عليها ، بل نتناول الواجبات التي لها مساس الناحية العسكرية ، لما لها من أهمية بالغة على أمن الدولة العربية الاسلامية ومصالحها العليا .

وبالنظر لأهمية البريد في نقل المعاملات العسكرية فقد كانت هناك وسائل عديدة لنقل البريد العسكري يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ دواب البريد .

٢ ـ السعاة .

٣ ـ الحمام الزاجل .

٤ ـ البريد النهري .

٥ ـ النـــار .

١ ـ دواب البريد :

أستخدام العرب الخيول في نقل البريد بين مختلف أقاليم الدولة ، وقد تميزت هذه الخيول بانها كانت مقصوصة الأذناب وهي علامة خصصت لخيول البريد ، وكانت هذه الخيول موزعة على محطات البريد المنتشرة على طول الطرق الرئيسية للدولة وبمسافة تتراوح بين ثلاثة أميال الى اثني عشر ميلاً بين محطة وأخرى[٢٦] ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى محطة من هذه المحطات وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل في المحطة الأخرى والأخرى حتى يصل بسرعة[٢٧] .

وقد أولى العباسيون نظام البريد عناية خاصة ففي عهد الخليفة هارون الرشيد نُظم البريد تنظيماً دقيقاً حتى قيل أن للرشيد عيناً لا تنام في أقصى زوايا ملكه[٢٨] . وفي خلافة المعتصم بالله انقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من مدينة البصرة بسبب تغلب (الزط)[٢٩] على منطقة البطائح (الأهوار) ، فوضع المعتصم بين البطائح وبغداد خيلاً مضمرة ملهوبة الأذناب تركض اليه بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من قائد الجيش في منطقة البطائح فيصير الى المعتصم من يومه[٣٠] .

وبلغ من اهتمام الخليفة المعتصم بتتبع ابناء بابك الخرمي أنه نظم البريد بينه وبين قائد جيشه (الأفشين) فجعل من سامراء الى منطقة حلوان[٣١] خيلاً مضمرة على رأس كل فرسخ[٣٢] فرس مع راكب ، فكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤديه من واحد الى واحد يداً بيد ، ومن حلوان الى اذربيجان وهي منطقة وعرة ربت فيها عدداً من الخيول يركض بها يوماً أو يومين ، ثم يتدل ويصير غيرها ويحمل عليها جماعة من الغلمان كل دابة على رأس فرسخ ومعها راكبها ، وجعل لهم حراساً على رؤوس الجبال ليلاً ونهاراً وأمرهم أن يصيحوا اذا جاءهم الخبر ، فاذا سمع الذي يليه النداء تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذي صاح حتى يقف له على الطريق فيأخذ الرسالة منه ، فكانت الرسالة تصل من عسكر الأفشين الى سامراء في أربعة أيام أو أقل[٣٣] .

وكانت ظروف الحرب سواء بين الدولة العربية الاسلامية والبيزنطيين أو عند القيام باخماد الحركات والفتن تستلزم سرعة ايصال النجدات ، لذلك استخدم البريد في نقل الجنود فكان قطار

---

(٢٥) الخرائط : مجمع خريطة وهي كيس من جلد توضع فيه الكتيب والرسائل وقد جاء في القاموس المحيط « الخريطة وعاء من آدم وغيره يُشْرَجُ على ما فيه » أي يحكم غلقه مجلد ٢/٣٥٧ .

(٢٦) ابن طبا طبا ، الفخري ، ١٠٦ ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢/٤٠٥ .

(٢٧) ابن طبا طبا ، الفخري ، ١٠٦ .

(٢٨) عبد الجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، ٢/١٤٨ .

(٢٩) الزط : أصلهم من السند استخدمهم الفرس في بعض مناطق الخليج العربي قبل الاسلام . كما أن محمد بن القاسم الثقفي بعث بجماعة منهم الى الحجاج عند فتحة السند ـ البلاذري فتوح ، ١٦٦ ، ٣٦٧ .

(٣٠) البلاذري ، فتوح ، ٣٦٩ ، العيون والحدائق ، ٤٧٢ .

(٣١) قرب خانقين حالياً .

(٣٢) الفرسخ : يساوي ٣ أميال أو ٥ كم .

(٣٣) الطبري ، تاريخ ٩/٥٢ ، نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ١/٤٣ .

البريد يتألف من دابة أو أكثر حتى يبلغ في بعض الأحايين أربعين أو خمسين دابة[34]٪ .

وفضلاً عن الخيول استخدمت البغال في نقل البريد وخصوصاً في المناطق الجبلية والباردة لعدم امكان استخدام الخيول أو الجمال وذلك لما يتمتع به البغل من القدرة على الهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة كما يتميز باحتماله الأثقال وبصبره على طول الطريق[35] .

واستخدم العباسيون الجمال ايضاً في نقل البريد ، وكانوا يعولون عليها في قطع القفار واجتياز الصحاري ، فليس هناك حيوان يتحمل السير والعطش في هذه المناطق أكثر من الجمل[31] . ومن الطبيعي أن تستخدم الجمال السريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل ، ويشير ابن كثير الى أن الخليفة المهدي اهتم بالبريد في المناطق الصحراوية فأقام محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن في سنة ١٦٦هـ واستخدم في هذا الطريق الجمال[37] . ومن الطبيعي أن تستخدم أنواع من الجمال سريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل ، ومن هذه الأنواع التي اشتهرت بسرعة الجري الجمال (الناجية) والجمال (المهرية) و (البختية) التي توصف بالصبر على السير وسرعة الخطو[38] .

وبالنظر للميزات التي يتمتع بها الجمل فقد كان الواسطة في نقل متطلبات القوات العربية الاسلامية من المؤن والذخيرة وايصالها مناطق القتال ، وكان يتولى الاشراف عليها وقيادتها اعداد كبيرة من الرجال[38] ، واستخدمت (الجمّازات)[39] في نقل البريد لقد قام الوزير علي بن عيسى بترتيب الجمازات بين مصر وبغداد لتوافيه كل يوم بأخبار قائد الجيش مؤنس الخادم الذي انتدب لحرب صاحب القيروان سنة ٣٠٢هـ[40] .

ورغم تميز دواب البريد بان أذنابها كانت مقصوصة لتفريقها عن غيرها من دواب الخدمة ، فقد تميزت أيضاً بأن تُعلّق في أعناقها جلاجل أو سلاسل اذا ما تحركت سمعت لها قرقعة تعرف عندهم بقعقعة البريد[41] .

٢ ـ السعاة :

ومن وسائل نقل الأخبار والرسائل التي استخدمها الجيش العباسي هي استخدام السعاة ، وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير مسافات طويلة في رحلة واحدة ، فعند تعذر وصول البريد الى ناحية من النواحي خاصة في أوقات الأزمات والحروب التي لا يمكن خلالها بعث بريد الخيل أو غيره لانعدام الاطمئنان على وصوله الى المكان المراد بسلام فحينئذ يكون السعاة خير من يوصل الأخبار والرسائل من غير أن ينكشفوا ، أو في المناطق الجبلية الوعرة التي يتعذر فيها سير الدواب ، لذلك كانت تدفع للسعاة أجور عالية ، ومن الذين اتخذوا السعاة لايصال الرسائل معز الدولة بن بوية أول أمراء الديلم ببغداد بعد سنة ٣٣٠هـ . فقد اراد أن يعلم أخاه ركن الدولة بأصبهان بتجددات الأخبار فاتّخذ السعاة لهذا السبب ، واشتهر في ايامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش ، وقد فاقا سائر السعاة وبلغ من شأنهما أن كل واحد منهما كان يسير في كل يوم أكثر من أربعين فرسخاً[42] .

---

(٣٤) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٥/٢.
(٣٥) الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ١٣٠ ، خوله عيسى ، نشأة البريد ، ١١٥ .
(٣٦) كمال عادل ، استراتيجية الفتوحات ، ٥٥ ، خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ١٣٠ ، خوله ، نشأة البريد ، ١١٩ .
(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥/١٠ ، ٤٣ . جهادية القرغولي ، التنظيمات الادارية في العصر العباسي الأول . رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين شمس ١٩٧٤ (بالآلة الكاتبة) .
(٣) خوله عيسى ، نشأة البريد ، ١١٩ .
(٣٨) كمال عادل ، استراتيجية الفتوحات ، ٥٥ ، الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ١٣٠ .
(٣٩) الجمازات : نوع من الجمال سريعة المشي ، لفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٦٩/٢ .
(٤٠) غريب القوطبي ، صلة تاريخ الطبري مطبعة برايل ، لندن ، ١٩٦٠ ، ص ٥٣ .
(٤١) خوله ، نشأة البريد ، والقعقعة : هي صوت السلاح ، القاموس المحيط ٧٢/٣ .
(٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٤٢٥/٨ . الأنصاري ، تفريج الكروب ، ١٥ .

وبالنظر لشهرة هذين الساعيين فقد تهافت شبان بغداد على هذه الحرفة واقبل فقراء الناس على تسليم أبنائهم الى معز الدولة لتدريبهم على ذلك(٤٣) .

واتخذ الجيش العباسي السعاة في بلاد الأعداء نفسها ونقل الرسائل بين قادة القوات المتقدمة ، ففي حملة عمورية علم الخليفة المعتصم بتحرك ملك الروم لمواجهة القائد العباسي (الأفشين) ، فوجه من عسكره جماعة من السعاة والأدلاء وضمن لكل واحد منهم عشرة آلاف درهم إن أوصلوا كتابه الى الأفشين ، ليكون على علم بتحرك الروم ، كما أمر قائداً من قواده أن يوجه من قبله ساعياً من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق الى الأفشين ليعلمه بالأمر ايضاً(٤٤) .

وهناك نوع من السعاة يُسمون (الفيوج) جمع فيج وهم رسل البريد الذين ينقلون الأخبار والرسائل من بلد الى آخر . ولا يشترط بهؤلاء الفيوج أن يكونوا سعاة على أقدامهم دائماً لأن المسافات التي يقطعونها طويلة جداً ، مما يحتم عليهم ركوب الخيل أو الدواب لتأمين سرعة ايصال الرسائل(٤٥) .

ومن السعاة أيضاً ما عرف باسم الشعوذي وقد أثار الهرثمي الى أن الشعاوذة هم رسل الأمراء الى أصحاب البرد في الأقاليم مهمتهم نقل الأخبار بسرعة(٤٦) .

وعرف نظام البريد نوعاً آخر من السعاة هم (الكوهبانية) أي أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين قطعات الجيش واعطاء الاشارات الى أمراء الوحدات العسكرية لاحاطتهم علماً بكل ما يجري عند العدو ، وقد ورد ذكرهم كثيراً في حروب بابك الخرمي وموقعة عمورية(٤٧) . وكان هؤلاء الكوهبانية يعتمدون في نقل أخبارهم على تحريك الاعلام فيقفون على مشارف الطرق وعلى المرتفعات ، وعند مشاهدتهم حركة غير اعتيادية يقومون بتحريك الأعلام بطريقة متفق عليها فيفهم قائد القطعة العسكرية مضمون الخبر(٤٨) . ومن واجباتهم أيضاً اعلام قائد الجيش عن كمائن العدو ودورياته ليتخذ الحيطة والحذر ، فكان الأفشين يفرق رجاله الكوهبانية ليفتشوا الأودية عسى أن يقعوا على مواضع الكمناء فيعرفها(٤٩) . وقد عَمِل الكوهبانية كأدلاء يرافقون القطعات المتقدمة ليدلوها على الطرق والمسالك الصحيحة(٥٠) .

وقد ورد اسم (الفروانقيون) باعتبارهم من السعاة أيضاً يتولون نقل الرسائل بين الولاة وكبار المظَّفين في الأمور المهمة التي تستدعي السرية ووجوب التنفيذ ، أو باعتبارهم المسؤولين عن تأمين سير السعاة والخيالة والاشراف على محطات البريد ويمكن تشبيههم بالمفتشين(٥١) .

٣ ـ الحمام الزاجل :

ويُعد من أبرز وسائل نقل البريد العسكري ، وقد عني العباسيون به عناية خاصة ، واتقنوا استخدامه في نقل الأخبار بشكل منظم ، فقد ورد في الأخبار أن الخليفة هارون الرشيد استعان بالحمام الزاجل للتعرف على أخبار أقاليم الدولة المختلفة(٥١) . ويظهر أن مؤسس فرقة القرامطة في القرن الثالث الهجري ، كان قد استعمله على صورة واسعة النطاق فاتخذ لنفسه في بداية أمره طيوراً تحمل اليه في مقره أخباراً من جميع البلاد بيستعين بذلك على الشعوذة والإخبار بالغيب(٥٣) .

---

(٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨/٤٢٥ ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢/٤١٤ .
(٤٤) الطبري ، تاريخ ، ٩/٥٩ . فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٢/٣٠٦ .
(٤٥) خوله عيسى ، نشأة البريد ، ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤٦) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ٣٨ .
(٤٧) الطبري ، تاريخ ، ٩/٢٤ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٤٨) الطبري ، تاريخ ، ٩/٢٤ .
(٤٩) نفسه ، ٣٦ .
(٥٠) نفسه ، ٤٥/٤٦ .
(٥١) خوله ، نشأة البريد ، ٦٨ .
(٥٢) ابن قتيبة ، الأمامة والسياسة ، (منسوب) ، ٢/١٦٢ .
(٥٣) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢/٤١٦ .

وفي سنة ٢٢١هـ أطلقت الطيور من مناطق أذربيجان وأرمينية الى الخليفة المعتصم في سامراء تحمل له أنباء الانتصار على بابك الخزمي(٥٤) . وفي سنة ٣١١هـ لما قرب القرامطة من الأنبار ، وأراد الخليفة المقتدر بالله معرفة أخبارهم ، أرسل الوزير ابن مقله أطياراً الى الأنبار ، فكان يُكْتَب عليها أخبار القرامطة يوماً بيوم(٥٥) .

ويظهر أن الأخبار والرسائل التي يحملها الحمام الزاجل كان يُعتمد عليها اعتماداً كبيراً في أثناء الحرب مع القرامطة ، فقد سلم الوزير علي بن عيسى مائة طائر الى مائة رجل وأمرهم أن يكتبوا له بأخبار القرامطة وقتاً بوقت(٥٦) .

ومن طريف ما يروى أنه كان ببغداد رجل علوي اسمه محمد بن عمر أبي الحسن الشريف له طيور في بغداد والكوفة ، وبينما كان هذا الشريف جالساً عند الوزير يوماً ورد الخبر بوصول رسول القرامطة الى الكوفة فدعت الضرورة الاسراع بالكتابة الى الكوفة للاحسان الى الرسول ، فأرسل الشريف طائراً الى الكوفة بالخبر فوصل الجواب بالامتثال للأمر وهو لا يزال جالساً عند الوزير(٥٧) . ويروي ابن طباطبا أن الخليفة المقتدر جهز جيشاً الى احدى الجهات وكان شديد التطلع الى أخبار هذا الجيش فارسل أحد رجال الحاشية، ويدعى أبو العباس أحمد بن الخصيب ، طيوراً بصحبة بعض ثقاته مع الجيش ، وقال لصاحبه : سرّح كل يوم طيوراً وعليها الأخبار ، فكانت الأخبار ترد على ابن الخصيب كل يوم فيعرضها على الخليفة ، حتى أن الخليفة المقتدر لم يفته من أمر الجيش شيء ، فتعجب المقتدر من ذلك وعندما علم أن ذلك كان من حسن تدبير أحمد بن الخصيب استوزره(٥٨) .

٤ ـ البريد النهري :

وقد استفاد العباسيون من الأنهار والمجاري المائية في نقل الأخبار أو ايصال الرسائل والكتب والأوامر ، فاستخدموا سفن البريد لايصال الرسائل والأخبار عبر المجاري المائية ، أو أن الرسائل كانت توضع في بعض الأحيان في قصبة وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وذلك اذا كان المرسل اليه على طريق المجرى المائي(٥٩) .

٥ ـ النـــار :

واستخدمت النار كوسيلة من وسائل نقل الأخبار ، وخاصة في الجهات الواقعة في آسيا الصغرى وبلاد الشام ، والتي كانت خاضعة من قبل للدولة البيزنطية ، لأن هذه الدولة كانت تستعملها ، أما في غير ذلك من انحاء الدولة العربية الاسلامية فلم تستعمل(٦٠) . وكانت طريقة نقل الأخبار بواسطة النار هي بناء المناظر والأبراج العالية على المرتفعات وتُنقل الأخبار بواسطة اشعال النار فينتقل الخبر من منظرة الى اخرى حتى يبلغ المكان المطلوب . وقد اشار المقريزي في الخطط الى استخدام النار في نقل الأخبار في ولاية ابراهيم بن الأغلب على أفريقية سنة ٢٦١هـ ، حيث كانت النار توقد على الحصون والمحارس على طول ساحل البحر من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر(٦١) .

---

(٥٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٥٦/٤ .
(٥٥) عريب ، صلة تاريخ الطبري ، ١١٠ .
(٥٦) مسكوية ، تجارب الأمم ، ٢٩٨/٥ .
(٥٧) مسكوية / تجارب الأمم ، ١٣/٦ .
(٥٨) ابن طباطبا ، الفخري ، ٢٧٠ .
(٥٩) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٧/٢ .
(٦٠) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٤١٥/٢ .
(٦١) المقريزي ، الخطط ، ٢٨٠/١ .

مصادر البحث

١ ـ ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد ـ ت ٦٣٠هـ .
ـ الكامل في التاريخ ـ دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ .

٢ ـ ابن خرداذبه : عبيد الله بن عبد الله ـ ت ٣٠٠هـ .
ـ المالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ .

٣ ـ ابن طباطبا : محمد ين علي ـ ت ٧٠٩هـ .
ـ الفخري في الآداب الاسلامية ـ بيروت ١٩٦٠ .

٤ ـ ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء ـ ت ٧٧٤هـ .
ـ البداية والنهاية .

٥ ـ ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين ـ ت ٧١١هـ .
ـ لسان العرب .

٦ ـ أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ـ ت ١٨٢هـ .
ـ الخراج ـ القاهرة ، ١٣٥٢هـ ـ الطبعة الثانية .

٧ ـ آدام متز :
ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ ط ٣٠ ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٨ ـ الأنصاري : عمر بن ابراهيم .
ـ تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق د. ج سكاتلون ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٩ ـ الحسن بن عبد الله ـ من القرن الثامن .
ـ آثار الأول في ترتيب الدول ـ القاهرة ، يولان ١٢٩٥هـ .

١٠ ـ سيدة كاشف .
ـ الوليد بن عبد الملك ـ القاهرة ، ١٩٦٢م .

١١ ـ سيد أمير علي .
ـ مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط ١ ، بيروت ١٩٦١م .

١٢ ـ الطبري : محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ .
ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٩م .

١٣ ـ عريب : القرطبي .
ـ صلة تاريخ الطبري ، برايل ، ليدن ١٩٦٥م .

١٤ ـ عيسى : خولة .
ـ نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية ، حتى عام ٣٣٤هـ ، اطروحة على الآلة الكاتبة ، بغداد / ١٩٨٥م .

١٥ ـ فتحي عثمان :
ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٦ ـ الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب ـ ت ٨١٧هـ .
ـ القاموس المحيط(٤) أجزاء ، القاهرة .

١٧ ـ القرغولي : جهادية .
ـ التنظيمات الادارية والعسكرية في العصر العباسي الأول ، أطروقة دكتوراه على الآلة الكاتبة ، عين شمس ، ١٩٧٤م .

١٨ ـ الكتاني : عبد الحي .
ـ التراتيب الادارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٩ ـ كمال : أحمد عادل .
ـ استراتيجية الفتوحات الاسلامية ، بيروت ١٩٧٧م .

٢٠ ـ مسكوية : ابو علي أحمد بن محمد ـ ت ٤٢١هـ .
ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم .

٢١ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي ـ ت ٧٧٠هـ .
ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ليدن ١٩١٣م .

٢٢ ـ نعمان ثابت .
ـ الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ١٩٣٩م .

٢٣ ـ الهرثمي : أبو سعيد الشعراني ـ (صاحب المأمون) .
ـ مختصر سياسة الحروب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .